UJTE

UNIVERSAL JOURNAL OF THEOLOGY

e-ISSN: 2548-0952

Cilt/Volume: 9, Sayı/Issue: 1, Yıl/Year: 2024 (Haziran/June)

KUR'ÂN'DA KONU BÜTÜNLÜĞÜ

الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

Thematic Unity in the Holy Quran

SÜLEYMAN AYDIN

Prof. Dr. Yalova Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü, Tefsir Anabilim Dalı
Prof. Dr., Yalova University, Faculty of Theology, Department of Basic Islamic Science, Department of Quranic Exegenesis, Yalova/Türkiye

slaydinn@gmail.com https://orcid.org/0000-0001-8958-9437

Makale Bilgisi – Article Information Makale Türü/Article Type: Araştırma Makalesi/ Research Article
Geliş Tarihi/Date Received: 29/04/2024
Kabul Tarihi/Date Accepted: 27/05/2024
Yayın Tarihi/Date Published: 30/06/2024
Atıf/Citation: Aydın, Süleyman. "Kur'ân'da Konu Bütünlüğü". *Universal Journal of Theology* 9/1 (2024): 1-39. Doi: 10.56108/ujte.1475544

https://dergipark.org.tr/tr/pub/ujte

UJTE
e-ISSN: 2548-0952
Universal Journal of Theology, IX (1) (Haziran 2024):1-39

KUR'ÂN'DA KONU BÜTÜNLÜĞÜ

Süleyman AYDIN

Öz

Bu araştırma Kur'an-ı Kerim'de konu bütünlüğü ve birliği ilminin tanımı, faydası, diğer ilimlerle alaka ve ilişkisi, önemi, fazileti, adı ve mahiyeti dahil olmak üzere bazı esaslarını içermektedir. Ayrıca Kur'an ve surelerdeki konu birliği ve bütünlüğünün bilinmesine yardımcı olan vesileler, kurallar ve ölçüler de makalede işlenmiştir. Aynı şekilde bu araştırma, araştırmacıların Kur'an-ı Kerim'deki Konu birliği ve bütünlüğünü idrak etme, tanıma güçlerini geliştiren entelektüel yatkınlık, yetenek kazanmalarına, Kur'an-ı Kerim'in ayet ve surelerinin arasında birlik, bütünlük ilişki ve uygunluğun olmadığını dolayısıyla da Kur'ân'ın birlik ve bütünlüğe ihtiyaç duyduğunu iddia eden Oryantalistler ve onların takipçilerine yanıt verme amacını taşır. Bunlara ilaveten bu araştırmanın içerdiği şeylerden bir tanesi de Kur'an-ı Kerim'deki tematik konu birliği ilmini ele alan kitapların, üniversite çalışmalarının ve hakemli araştırmaların teorik veya pratik açıdan değerlendirilmesindeki bilimsel standart ve ilmi ölçüdür. Çalışma Kur'an-ı Kerim'deki tematik birliği kısa, faydalı ve doğru bir sunumla ortaya koymayı, onun kavramını, tarihini ve ilim adamlarının bu konudaki görüşlerini netleştirmeyi ve Kur'ân-ı Kerîm ve sûrelerinde konu bütünlüğüne önem veren Kur'ânî tefsir ve yorumlarını tahkik ederek, yeniden inceleyerek ve yorumlayarak sunmayı da amaçlamaktadır. Bu araştırma aynı zamanda Kur'an-ı Kerim'deki konu bütünlüğünün, Kur'an-ı Kerim'i anlama ve icaz yönünü ifade etme konusunda kullandığımız en önemli araçlardan biri olduğunu kanıtlamayı da hedefler. Son olarak Kur'an-ı Kerim'in tefsirinde konu bütünlüğünü amaç edinen ve bu hedefe ulaşmak için Kur'an'ın, sünnetin, icmanın ve hatta dikkate alınması gereken diğer araçların feda edildiği bir görüşün tehlikesini de ortaya koymak çalışmanın amaçları arasındadır.

Anahtar kelimeler: Kur'ân,vahde, konu bütünlüğü, iktizâb, tenâsuk.

الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

الملخَّص

يحتوي هذا البحث عددًا من البنود منها بعض مبادئ علم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم من تعريفه وثمرته ونسبته إلى غيره من العلوم وأهميته وفضله واسمه وماهيته. ومنها الوسائل والضوابط والمعايير المعينة على معرفة الوحدة الموضوعية في القرآن وسوره. ومنها ما يكون الملكة الفكرية التي تمكن الباحثين من تطوير قدراتهم على إدراك الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، والرد على المستشرقين وأتباعهم الذين يدعون أن القرآن الكريم يفتقر إلى الوحدة والتماسك والترابط، وأنه لا يوجد ترابط بين آيه وسوره. ومنها المقياس العلمي في تقييم الكتب والدراسات الجامعية والبحوث المحكمة التي تناولت فن الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم من حيث الناحية النظرية أو من حيث الناحية العملية. يهدف هذا البحث إلى عرض الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم عرضًا موجزًا مفيدًا وصحيحًا وتوضيح مفهومها، وتاريخها، وآراء العلماء فيها، وعرض أهم التفاسير القرآنية التي اهتمت بقضية الوحدة الموضوعية في القرآن وسورها مع التنقيح والتحقيق والتعليق عليها .ويهدف هذا البحث أيضًا إلى إثبات كون الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم هي من أهم الوسائل التي نستخدمها في فهم القرآن الكريم وبيان إعجازه. ويهدف أيضا إلى بيان خطورة رأي يجعل الوحدة الموضوعيّة في تفسير القرآن الكريم غاية يضحى في سبيل الوصول إليها القرآن والسنة والإجماع بل الوسائل الأخر التي يجب اعتبارها.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الوحدة، الموضوعية، الاقتضاب، التناسق.

Thematic Unity in the Holy Quran

Abstract
This research encompasses several aspects, including some principles of the science of thematic unity in the Holy Quran, ranging from its definition, outcomes, and its relation to other sciences, to its importance, virtue, name, and essence. It also includes the specific methods, criteria, and standards for understanding the thematic unity in the Quran and its chapters. Additionally, it discusses the intellectual capacity that enables researchers to develop their abilities to perceive the thematic unity in the Holy Quran, and to refute Orientalists and their followers who claim that the Quran lacks unity, coherence, and cohesion, asserting that there is no correlation between its verses and chapters. Among these aspects is the scientific criterion for evaluating books, university studies, and peer-reviewed research that addressed the art of thematic unity in the Holy Quran, both theoretically and practically. The aim of this research is to present a concise, useful, and accurate overview of thematic unity in the Holy Quran, clarifying its concept, history, scholars' opinions, and presenting the most important Quranic exegeses that dealt with the issue of thematic unity in the Quran and its chapters, with refinement, investigation, and commentary. Furthermore, this research aims to demonstrate that thematic unity in the Holy Quran is one of the most important tools we use to understand and demonstrate its miraculous nature. It also aims to highlight the danger of an opinion that considers thematic unity in Quranic interpretation as an ultimate goal, neglecting the Quran, Sunnah, consensus, and other necessary considerations.

Key words: Quran, unity, thematicity, iktizab, coherence.

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

الحمد لله إلهنا الذي أنزل كتابًا أحكمت حروفه وكلماته وآياته وسوره وموضوعاته ومعانيه، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ﷺ الذي هدانا إلى سبل إدراك الوحدة الموضوعيّة في القرآن وسوره وآياته وموضوعاته، وعلى آله وأصحابه الذين رزقوا إدراك الوحدة الموضوعيّة في القرآن والتفسير ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فإن هذا بحث في قضية الوحدة الموضوعيّة في القرآن وهي من أهم القضايا في الدراسات القرآنية المعاصرة، إذ ذهب بعض المستشرقين إلى القول بأن القرآن الكريم يفتقر إلى التماسك والوحدة، وحاول بعض العلماء والدارسين المسلمين الرد عليهم وإثبات الوحدة، إلا أن أكثرهم ذهبوا إلى القول بأن الوحدة في السورة القرآنية هي وحدة موضوعية، وركزوا معظم جهودهم على تطبيق الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، ولم يكن هناك اهتمام كبير بتوضيح المراد من هذه الوحدة، وتاريخها، وأنواعها، ومن ثم قد حصل كثير من الالتباس في مفهوم الوحدة الموضوعية وأنواعها لدى كثير من الباحثين، ويهدف هذا البحث أن يقدم تصورًا متكاملًا قدر الإمكان عن الوحدة الموضوعية في القرآن كله.

مشكلة البحث

في ضوء ما سبق ذكره يمكن القول إن مشكلة البحث وأسئلته التي يحاول الإجابة عنها هي:

– ما هو تحرير محل النزاع في القضايا التي تتعلق بالوحدة الموضوعية في القرآن وتحقيق القول فيها مع التنقيح؟

– ما عناصر الوحدة الموضوعية وأنواعها وصورها ؟

– ما مواقف الدارسين من الوحدة الموضوعية؟

– ما أهم الوسائل والضوابط والمعايير المعينة على تحديد الوحدة الموضوعية؟

– ما أهم المؤلفات في الوحدة الموضوعية؟

الدراسات السابقة:

هناك بعض الأبحاث التي تتناول مفهوم الوحدة الموضوعية فحسب، وهناك كثير من الأبحاث التي تتناول الوحدة الموضوعية في السورة معينة، وأذكر منها على سبيل المثال:

– الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، عبد العزيز الخضيري، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 149، 1430هـ، حيث تحدث الباحث فيه عن الموضوعات القرآنية، ووحدة الموضوع، وتحديد موضوع السورة، والوحدة الموضوعية في سور مختارة كسورة الفاتحة والبقرة والكهف.

– الوحدة الموضوعية في سورة الأحقاف، نجية غلا نبي محمد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 106، 2015م، حيث توصلت الباحثة إلى أن سورة الأحقاف تعالج قضية إثبات العقيدة في القلوب، وذهبت في بحثها إلى أن الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية أحد أنواع الإعجاز القرآني.

– محور الوحدة الموضوعية لسورة البقرة: دراسة في مقاصد السور، حسين الزومي، مجلة جامعة المدينة العالمية (مجمع)، العدد 13، 2015م، حيث تناول الباحث في بحثه هذا الوحدة الموضوعية في سورة البقرة، وتواصل إن أن محور (المُدافعة) هو مقصد سورة البقرة الرئيس، وذكر في بحثه أن عبد الحميد الفراهي أول من تحدث عن تطبيق الوحدة الموضوعية في السور القرآنية.

ويختلف هذا البحث عن تلك الأبحاث بأنه يحاول تقديم تصور متكامل عن الوحدة الموضوعية من جهة مفهومها وأهميتها وعناصرها وتاريخها وموقف الدارسين منها، وأول من قال بها من الدراسين، وأنه دراسة نظرية وليس دراسة تطبيقية.

منهج البحث

اعتمدت في هذا البحث على عدد من المناهج البحثية الاستقرائية والتحليلية التي استخلصته من كتب أصول العلوم القرآنيّة والتفسيريّة والحديثيّة واللغويّة والعقليّة، فأردت أن أكتب فيه على منهج البحث العلميّ الأصيل في بحث لا يخلو من إضافة معلومات جديدة، أو جمع معلومات متفرقة، أو شرح أشياء مغلقة، أو تصحيح قول أخطأ فيه قائله أو ناقله، أو اختصار طويل أو إتمام ناقص أو ترتيب مختلط بتصرّف، وإنني قد كتبته رجاء أن يُنتفع به.

خطة البحث:

- المقدمة: بعض مبادئ علم الوحدة الموضوعية.
  - المسألة الأولى: تعريف الوحدة الموضوع لغةً واصطلاحًا.
  - المسألة الثانية: تعريف الموضوع لغةً واصطلاحًا.
  - المسألة الثالثة: تعريف الوحدة الموضوعية.
  - المسألة الرابعة: نسبة هذا الفن إلى غيره من العلوم.
  - المسألة الخامسة: أهمية فن الوحدة الموضوعية وفضله.
  - المسألة السادسة: ثمرة معرفة فن الوحدة الموضوعية.
  - المسألة السابعة: اسم هذا الفن.
- المبحث: ماهية الوحدة الموضوعية وتاريخها وأنواعها، وموقف الناس منها، والمؤلفون والمؤلفات فيها.
  - المطلب الأول: ماهية الوحدة الموضوعية.
  - المطلب الثاني: أنواع الوحدة الموضوعية.
  - المطلب الثالث: تاريخ فن الوحدة الموضوعية.
  - المطلب الرابع: موقف الناس من الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

- المطلب الخامس: الوسائل والضوابط والمعايير المعينة على معرفة الوحدة الموضوعية في القرآن وسوره.
- المطلب السادس: المؤلفون والمؤلفات في فن الوحدة الموضوعية.
  - المسألة الأولى: المؤلفون في فن الوحدة الموضوعية.
  - المسألة الثانية. المؤلفات في فن الوحدة الموضوعية.
- المطلب السابع: الموضوع العام والموضوعات الرئيسة في القرآن والعلاقة بينها، وصور الوحدة الموضوعية في القرآن.
- المطلب الثامن: بيان حكم الوسائل التفسيرية التي تعارض القرآن والسنة والإجماع.

- الخاتمة.

المقدمة: بعض مبادئ علم الوحدة الموضوعيّة[1]

وفيها مسائل:

لما كانت الوحدة الموضوعيّة اسمًا مركبًا وصفيًّا، وجب علينا أن نعرّف ركني الاسم المركب أوّلًا، ثمّ التركيب بعد ذلك[2].

المسألة الأولى: تعريف الوحدة والموضوع لغةً واصطلاحًا

الوحدة لغةً:

هي الانفراد والاتّحاد والامتياز، حيث أن "الـ (و) والـ (ح) والـ (د) : أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الاتحاد ويدل على الِانْفِرَادِ[3] فالوَحَدُ: المُنْفَرِدُ من كلِّ شَيْءٍ[4]، "وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى حِدَةٍ أَيْ مُتَمَيِّزٌ بذاته عَنْ غَيْرِهِ"[5]. و"قِيلَ: الْوَاحِدُ: هو ما لَا يَتَجَزَّأُ، ولا يكون قابلًا للانقسام أو للتثنية، ولا نظير له ولا مثل. ولا يجمع هذين الوصفين إلا الخالق عز وجل، وَفِيهِ "إِنَّ اللَّه تَعَالَى لَمْ يَرْضَ بِالْوَحْدانِيَةِ لأحدٍ غيرِه، شِرارُ أُمّتِي الْوَحْدَانِيُّ المُعجب بدِينه المُرائي بعمله"، فالوحداني هنا هو المُنْفَرِدَ بِنَفسِه، والمُفارِقَ للجَماعة، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الوَحْدة: الانفِراد، بِزِيَادَةِ الـ (أ) و الـ (ن)بقصد المبالغة.[6].

والتحقيق: هو ما قاله الشيخ محمد النجار: "فأمّا الوحدة فقد فُسِّرت في المعاجم بالانفراد، وتستعملُ الآن في معنى الاتّحاد أو صيرورة الاثنين فما فوقها واحدًا، فيقال وحدة الدولتين ووحدة قوانين التجارة، وكأنَّ هذا المعنى نشأ بالتوسع والتجوّز في المعنى الأوّل، فمن شأن المنفرد الضبط وعدم الانتشار، ومن شأن التعدّد التشتّت، فاستعملت الوحدة التي أصلها الانفراد في الاجتماع الذي فيه الضبط والالتئام[7].

الوحدة اصطلاحًا:

هي اتّحاد الأشياء بكيفيّة تجعلها منفردة تندرج تحت شيء واحد ولو حكمًا، والمراد بها هنا في اصطلاحنا هو اتحاد الموضوعات المتعدّدة في القرآن وسوره بكيفيّة تجعلها منفردة مندرجة تحت موضوع واحد.

---

1 وذلك لأن الفهم الصحيح في كل فن يتوقف على مبادئه.

2 تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، لمحمد عمر بازمول، ص 52.

3 معجم مقاييس اللغة، لابن فارس؛ أساس البلاغة، للزمخشري، مادة (وحد). بتصرف.

4 المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، مادة (وحد). بتصرف.

5 المصباح المنير، للفيومي، مادة (وحد). بتصرف.

6 النهاية، لابن الأثير الجزري، مادة (وحد). بتصرف.

7 الوحدة القرآنية، لمحمد خوجة، ص 22.

وهي عند المفسرين: "الأساس أو المحور أو الموضوع الوحيد الجامع للموضوعات المتعدّدة في السورة والقرآن"[1].

وهي عند علماء النقد الأدبي: "مراعاة الترابط والتلاؤم بين عناصر النصّ من أفكار وأجزاء بحيث لا يشعر الذوق بالبعد والقطيعة بين الفكرة والفكرة، أو الصورة والصورة، ويستوي بعد هذه الرعاية أن يكون موضوع النصّ واحدًا، أو تتعدّد موضوعاته في إطار غرض واحد، كما كان يفعل الجاهليّون[2] [3].

المسألة الثانية: تعريف الموضوع لغةً واصطلاحًا

الموضوع لغةً:

الوضع: هو الإلصاق والحطّ والإسقاط والإلقاء، "(و) (ض) (ع): وَضَعْتُهُ، وأَضَعْتُهُ وَضْعًا. وَالْمَوْضِعُ مَكَانُ الْوَضْعِ، ويقال: وَضَعْتُ عَنْهُ دَيْنَهُ إذا أَسْقَطْتُهُ، ويقال وَضَعَتْ الْحَامِلُ وَلَدَهَا تَضَعُهُ وَضْعًا إذا وَلَدَتْ، وَوَضَعْتُ الشَّيْءَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَضْعًا أي تَرَكْتُهُ هُنَاكَ"[4].

والموضوع: هو الملصق والمنحطّ والمُسقَط والملقى. ويقال: "مَوْضوع مفرد: جمعه مواضيع وموضوعات: اسم مفعول من الفعل وضَعَ. والموضوع: المادّة التي يبني عليها الكاتب أو المتحدث كَلامَهُ. ويقال: طَرَق الكاتبُ الموضوعَ بدقَّة. ويقال: هذا الكلام في صُلْب الموضوع. والموضوعيّة: اسم مؤنَّث منسوب إلى مَوْضوع"[5].

الموضوع اصطلاحًا:

هو ما يلقى أمام المخاطب من كلام وغيره للتسهيل والتنشيط والتمييز. والمراد بها هنا في اصطلاحنا هو ما ألقاه الله تعالى في كتابه من القضايا والمعاني للتسهيل والتفهيم والتنشيط والتمييز والترفيع.

وهو في الاصطلاح العام: "الْمَادَّة الَّتِي يبْني عَلَيْهَا الكاتب أو المتحدث كَلَامه"[6]. أو: "القضية التي قد تعدّدت أماكنها وأساليبها، وهناك جهة تجمعها عن طريق غاية واحدة أو معنى واحد".

---

1) تحرير التفسير الموضوعي، لمحمد بازمول، ص 52. بتصرف.
2) بناء القصيدة، ليوسف بكار، ص 283 – 285. (بتصرف).
3) كل ذلك بانتقاء و بتصرف.
4) المصباح المنير، للفيومي، مادة (وضع). بتصرف.
5) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر، مادة (وضع). بتصرف واختصار.
6) المعجم الوسيط، باب (الواو). بتصرف.

وهو في اصطلاح المفسرين: ‘‘المفهوم الذي تعدّدت أماكنه وأساليبه في القرآن، وله جهة تجمعه عن طريق غاية واحدة، أو معنى واحد’’[1].

هذا وإنّه قد سمي(الموضوع) في العلوم والمؤلفات موضوعًا لكونه ميّسرًا سهل المنال، وشافيًا كافيًا مغنيًا يسقط الأسئلة التي ترد في الأذهان، ومثمرًا يثمر ثمرات مختلفًا ألوانها، ورافعًا يرفع مستوى القارئ علمًا وفهمًا وخلقًا إلى غير ذلك، فكل ما ليس كذلك فلا يسمى موضوعًا ولا يكون، وقد سمي (الخبر الموضوع) موضوعًا لكونه منحطًّا وساقطًا عن حقيقة أن يكون من سنّة النبيّ، وبالتالي عن درجة الاعتبار بالكليّة.

المسألة الثالثة: تعريف الوحدة الموضوعيّة

تعدّدت الآراء في تعريف الوحدة الموضوعيّة في كتاب الله تعالى، فقيل:

هي ‘‘الإحكام في التناسب والتناسق والتناغم والتكامل في القرآن الكريم’’[2].

أو: هي ‘‘الكلام عن السورة ككلّ، من ناحية أغراضها العامّة والخاصّة، مع ربط موضوعاتها بعضها ببعض، حتّى تبدو السورة وهي في منتهى التناسق والإحكام، وكأنها عقدٌ من لؤلؤٍ منظومٍ في غاية الإبداع’’[3].

أو: هي ‘‘الأساس أو المحور الوحيد الجامع للمواضيع المتعددة على مستوى القرآن بأكمله، أو على مستوى مجموعة منالسور المشتركة في أمر معيّن، أو على مستوى موضوع من القرآن، أو على مستوى سورة معينة’’[4].

أو: هي ‘‘بيان تلك الوحدة الجامعة التي تربط بين أجزاء الموضوع الواحد، سواءً الذي تفرّقت عناصره في سور القرآن، أو الذي انتظمت عناصره في سورة واحدةٍ من سوره’’[5].

أو: هي ‘‘ترابط سورة القرآن وآياته حتّى يكون كالكلمة الواحدة’’[6].

أو: هي ‘‘أن يسعى من يقوم بالتفسير إلى بيان الموضوعات التي اشتملت عليها الآيات، والربط بينها، وذكر المعنى الجامع لها، والتي تكونُ أحيانًا لفظية وأحيانًا معنوية، وإيجاد الموضوع المحوريّ الذي تهدف إليه السورة بعد

1) تجليات الوحدة الموضوعية، لمحمد رابح. بتصرف.
2) الوحدة القرآنية لمحمد خوجة، ص 27. بتصرف.
3) الوحدة الموضوعية لسورة الجمعة، لعواطف أمين السباطي، ص 115.
4) الوحدة الموضوعية بين المؤيدين والمعارضين: دراسة تأصيلية مقارنة، ص 31. بتصرف.
5) تجليات الوحدة الموضوعية، لمحمد رابح.
6) تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، لمحمد بازمول، ص 53.

ذلك. والربط المعنويّ كقرن الترغيب والترهيب، ومقابلة الشر بالخير بعلاقة التضاد، والربط اللفظيّ كعطف آية على آية، أو أن تكون الآية واقعة موقع البيان ممّا قبلها، أو الحال، أو نحو ذلك"[1] [2].

وقد تعدّدت الأسماء التي يشير العلماء بها إلى الوحدة الموضوعيّة عند أهل الدراسات القرآنيّة، ومنها[3]:

الموضوع الأساسيّ	الموضوع الرئيس	الموضوع الكليّ	الموضوع الواحد	الفكرة الواحدة	قضيّة السورة
الغرض الرئيس	الهدف الواحد	عمود السورة	المحور الأساس	شخصيّة السورة	محور السورة

والتحقيق

إنّ الوحدة الموضوعيّة في القرآن هي: المحور أو الأساس أو الغرض أو الموضوع الوحيد الذي يجمع الموضوعات المتعددة التي تدور عليه في القرآن وآياته وسوره ويربطها بروابط شتى معنويّة كانت أم لفظيّة حتّى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة.

وإن هناك فرقًا بينها وبين التفسير الموضوعيّ، فالتفسير الموضوعيّ نوع من أنواع التفسير وأقسامه. فهو التفسير الذي يكون على أساس تعريف سورة ما ببيان اسمها وفضلها ومكيّتها ومدنيّتها وعدد آياتها وترتيبها وموضوعاتها وأهدافها ومقاصدها أو على أساس الموضوعات القرآنيّة بجمع الآيات المتعلّقة بموضوع ما بعينه، أو على أساس الكلمات القرآنيّة بجمع الآيات التي وردت فيها مفردة ما بعينها في القرآن كلّه أو سورة منه، مع الإحاطة التامّة التنظيميّة والتفسيريّة بكلّ جوانب الموضوع. أمّا الوحدة الموضوعيّة فهي نور يسعى بين أيدي كلّ تفسير، أو هي ماء يسري في عروق كلّ نوع من التفسير.

هذا وإن "الوحدة الموضوعيّة للقرآن وسوره، لا تعني أنّ القرآن أو السورة موضوع واحد مستقلّ، فهي ليست كالفصل في الباب، أو المبحث في الكتاب، فهناك فرق شاسع بين طريقة القرآن الكريم، وطريقة تأليف البشر...

1) التناسق الموضوعي في السورة القرآنية، لمحمد بازمول، ص 20. بتصرف.
2) كل ذلك بانتقاء وبتصرف أيضًا.
3) يُنظر: من محددات نظرية الترتيل في القرآن الكريم، لمحمد المنتار، ص 66.

بل المراد: أنّ للقرآن موضوعًا تندرج تحته موضوعات شتّى، تربط بينها أزواج من الروابط والمناسبات بارزة كانت أم خافية"[1].

هذا وإنّ الدقّة العلميّة تقتضي أن نضع اصطلاحًا آخر، هو الوحدة الموضوعيّة في التفسير، ونعني به: تفسير القرآن تفسيرًا موضوعيًّا وفقهيًّا ولغويًّا... إلخ في ظلّ وسائل من الواقع، ومقاصد القرآن وسوره وآيه ومعطيات كلّ العلوم التي يتوقّف عليها تفسير آيه.

المسألة الرابعة: نسبة هذا الفنّ إلى غيره من العلوم

ولنا أن نقول في بيان نسبة فنّ الوحدة الموضوعيّة في القرآن إلى غيره من العلوم ما يلي:

- إنّه أحد العلوم الشرعيّة المتعلّقة بالقرآن.

- وإنّ نسبته إلى العلوم ممّا عدا بعض علوم القرآن فهو التباين.

- وإنّ هناك علاقة قويّة بينه وبين علم التفسير الموضوعيّ وعلم الترتيب وعلم المناسبات وعلم السياق القرآنيّ وعلم التناسق الموضوعيّ وعلم قصص القرآن، فلا يمكن أن نفصل بين هذه العلوم. كلّ واحد منها يؤدي إلى فهم الآخر. لأنّه من علوم القرآن والتفسير وأصوله بمنزلة اللازم من ملزومه أو بمنزلة الشرط من المشروط.

والتحقيق: إنّ الوحدة الموضوعيّة مرتبطة بكلّ ما تقدم ارتباطًا متينًا قويًّا بل هي الأساس لكلّ ما تقدّم. والعلاقة بينها وبين العلوم التي ذكرناها قويّة تتعدّد بتعدّد الاعتبارات، فقد تكون علاقة الجزء بالكلّ أو علاقة اللزوم أو علاقة الشكل بالمضمون. فالمضمون هو وحدة الموضوع إلى غير ذلك.

فإنّ "العلاقة بين الوحدة الموضوعيّة في القرآن وعلم مناسبات القرآن قويّة، وهي كدم يجري في عروق علم المناسبات لأنّه تعرف من خلاله علل وأسباب ترتيب الأجزاء فيه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لمقتضى الحال فيه"[2]. وإن كان علم المناسبة يعد سباقًا في ظهوره على الوحدة الموضوعيّة، إلّا إن إدراك المناسبة الدقيقة بين أجزاء السورة المختلفة يتوقف على معرفة موضوعها، وهي تمثّل علاقة الشكل بالمضمون"[3].

1) دراسات في التفسير الموضوعي، لزاهر الألمعي، ص 123. بتصرف.

2) الوحدة الموضوعية، لمسناوي ورضوان الأطرش، ص 71.

3) الوحدة الموضوعية وعلاقتها بعلوم القرآن الأخرى، لمسناوي ورضوان الأطرش، ص 71. بتصرف. ويُنظر: تحرير التفسير الموضوعي، ص 107. بتصرف.

قال ابن عقيلة المكيّ: ‘‘مناسبة الآيات بعضها لبعض من أوّل القرآن إلى آخره حاصلة وتامّة على أكمل منوال وأحسن وجه، ولكن الناس تختلف فهومهم في طبيعة المناسبة، فبعضهم يظهر له معنى بعيد ويتصف بالضعف، وبعضهم يظهر له معنى حسن ويتصف بالقوة، فالمناسبة حاصلة بين الآيات، وحسن ذلك مرده إلى حسن الأفهام والله أعلم’’[1].

وإنّ ‘‘العلاقة بين الوحدة الموضوعيّة في القرآن وعلم السياق القرآنيّ قويّة، وهي كدم يجري في عروق علم السياق القرآني، أو إن علم السياق وسيلة من وسائل إدراكها. لأنّ علم السياق القرآنيّ يعرف بأنه: ‘‘بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بشرط ألا يخرجه عما يسبقه ويلحقه والجوّ العام، إلّا بدليل هو صحيح ينبغي ويجب القول به والتسليم له’’[2].

وإنّ ‘‘العلاقة بين الوحدة الموضوعيّة في القرآن وعلم التناسق الموضوعيّ قويّة وهي كدم يجري في عروق علم التناسق الموضوعيّ القرآنيّ أيضًا لأنّ التناسق الموضوعيّ يعرف بأنّه: ‘‘المعنى الرابط بين الموضوعات في السورة والكاشف عن علل ترتيبها؛ لإبراز الانسجام والتلاؤم والتتابع والنظام بين الموضوعات’’[3].

يمكن لنا أن نقول إنّنا نبحث في التناسق الموضوعيّ عن فإننا نقوم بالبحث عن موضوعات السورة وسبب انتظامها على ترتيبها التي عليه في القرآن، ونبحث عن أسباب التقديم والتأخير في السورة، وأسباب تناول قضايا معينة فيها، ونبحث أيضًا عن وجه المعنى الرابط لها بما قبلها وبعدها، وما يتمم ذلك في النظر والبحث في باقي موضوعات السورة الواحدة، أو ائتلاف وانسجام مجموعة من السور في الموضوعات التي تتناولها. وأما في الوحدة الموضوعية فإننا نقوم بالبحث عن المحور الأساسي الذي ترجع إليه وتدور عليه الموضوعات التي تناولتها السورة، فينظر الباحث في مقاصد السورة والموضوعات التي اشتملت عليها ويذكرها، ثم يبحث عن الموضوع الذي يعد أساسًا ومحورًا يجمع هذه الموضوعات، ويعد أيضًا الغاية التي ترمي إليها السورة[4].

وإن هناك علاقة قوية أيضًا بين علم قصص القرآن والوحدة الموضوعية وهي كالدم الذي يجري في عروق علم قصص القرآن، وذلك لأن القصص القرآني من المعنى الأم الذي قد ذكر في أم القرآن، ويُعرَّف علم قصص القرآن بأنه: إخبار الله تعالى بما حدث للأمم مع رسلهم، وما حدث بينهم، أو بينهم وبين غيرهم، سواءً على المستوى

1) الزيادة والإحسان، لابن عقيلة المكي، ج: 6، ص: 370-371. بتصرف.
2) دلالة السياق القرآني، لعبد الحكيم القاسم، ص 94. بتصرف.
3) التناسق الموضوعي، لمحمد بازمول، ص 11. بتصرف.
4) المرجع السابق، ص 12. بتصرف.

الفردي أو الجماعي، بصدق وحق لا يوجد افتراء ولا كذب، ولا يوجد فيه وهو أو مبالغة، ويهدف هذا الإخبار إلى العبرة والعظة وحصول الهداية[1].

وقد بين ابن عقيلة المكي في كتابه أن أسرار تكرار القصص القرآنية، سببها أن الله قد ذكر كل قصة في سورة من السور لمعنى مختلف عن المعنى الذي ذكر في سورة أخرى، حيث إن القصة الواحدة تشتمل وتشير إلى معان متعددة ومتنوعة، فيكون على سبيل المثال السياق في بعض السور هو الحديث عن صبر النبي ﷺ على إيذاء المشركين له، والتسلية له من خلال قصص الأنبياء الذين سبقوه في الدعوة، وكيف أنهم أوذوا أذى شديدًا فصبروا، فتساق القصص الواردة بما يتوافق مع هذا المعنى وينسجم معه. وفي بعض السور يكون السياق هو الإخبار عن إهلاك الظالمين والمعاندين، وبيان عاقبة أمرهم التي هي هلاك في الحياة الدنيا وخزي وهوان في الدار الآخرة، فتساق قصص الأنبياء بما ينسجم ويتوافق مع هذا المعنى، وفي بعض السور يكون السياق هو الحديث عن التوحيد وعدم الإشراك، وعن تبليغ الرسالة، وعن إرشاد العباد والمخلوقات إلى رب العزة، فتأتي القصص أيضًا وفق هذا السياق. وفي بعض السور يكون السياق هو إثبات النشور، وإثبات أن الناس سيبعثها الله يوم القيامة ويحاسبها ويجازيها على أعمالها، فتساق قصص الأنبياء لإثبات هذه المعاني، وأنهم دعوا إلى هذا الأمر[2].

وبناء على هذا يمكننا القول إن القصة في القرآن تتلاحم وتمتزج بالسورة التي ترد فيها تلاحمًا وتمازجًا قويًا بحيث لا نستطيع أن نفصل بين القصة والموضوعات التي اشتملت عليه السورة، فلو حذفنا القصة الواردة في السورة سنجد أن المعنى قد اضطرب واختل، وسبب هذا أن القصص الواردة في السور تسهم في بيان مقصود السور وتحقيق أهدافها[3].

"وللإعجاز القرآنيّ أسرار عظيمة وفريدة فمنها أنّنا نجده ينتقل من موضوع لآخر من التشريع إلى القصص، ومن العقائد إلى التوجيه والأخلاق، وقد يجتمع هذا كلّه وغيره في صفحة واحدة من القرآن دون أن يشعر القارئ بأنّ الأسلوب قد تغيّر، وهذا الأمر لا يقدر عليه بشر على الإطلاق"[4].

المسألة الخامسة: أهمية فنّ الوحدة الموضوعيّة وفضله

[1]) القصص القرآني، لعبد الباسط بلبول، ص 36. بتصرف.

[2]) ينظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي، 6/371-370.

3) ينظر: العلاقة بين الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والقصص القرآنية، لغدير جبر، ص: 3.

4) بحوث منهجية، لموسى إبراهيم، ص: 132.

إن فنّ الوحدة الموضوعيّة هو من أهمّ الفنون لشرف موضوعه، وهو القرآن وسوره وآياته، فهذا الفن جدير بالبحث والتأصيل لإثبات وجه من وجوه إعجاز القرآن، والردّ على القائلين بتفكّك النظم القرآنيّ، وبه تعرف مقاصد السور ومحاورها الأساسيّة والعلاقة بين الآيات في السورة الواحدة وتناسقها وعلاقتها بالمحور الذي تدور السور حوله.

المسألة السادسة: ثمرة معرفة فنّ الوحدة الموضوعيّة

إنّ هذا الفنّ يكون عندنا ملكة تجعلنا نكشف وجهًا من وجوه الإعجاز القرآنيّ، وتمكّننا من معرفة ارتباط آي القرآن وسوره بعضها ببعض في معانيها ومبانيها وموضوعاتها وفهم مقاصد القرآن وسوره وأهدافهما وخصائصهما.

المسألة السابعة: اسم هذا الفنّ

اصطلح العلماء على تسمية هذا الفنّ في القرن الرابع عشر الهجري، وهو كان أحد الأصول والأسس التفسيريّة وأشار إليه الأوّلون إلّا أنّه لم يكن معروفًا بهذا الاسم.

أمّا الوحدة الموضوعيّة في النقد الأدبيّ: فقد "اختلفت المدلولات والتسميات لقضية وحدة القصيدة، فأحيانًا يقال عنها الوحدة الموضوعية، وأحيانًا يقال الوحدة المعنويّة وغير ذلك، كالوحدة النفسية، والوحدة الفنية، والوحدة المنطقية"[(1)]، "وقد ذهب النقّاد مذاهب شتّى في تحديد المراد من وحدة القصيدة وتختلف تعاريفهم ومفاهيمهم باختلاف مذاهبهم وتخصّصاتهم، ولأنّ هذا المفهوم ذو طبيعة غير مستقرّة إذ يتغيّر تبعًا لوجهات نظرهم القابلة للتطوّر والتجدّد"[(2)].

وذهب هلال إلى أن الوحدة الموضوعية في القصيدة هي (وحدة الموضوع) و (وحدة المشاعر) التي يثيرها موضوع القصيدة، وما يستلزم ذلك في تنسيق وترتيب صورها وأفكارها على نحو تسير فيه تلك القصيدة خطوة بخطوة حتى تنتهي إلى خاتمة يوجبها نسق أفكارها وصورها والترتيب الذي وردت فيه، ويجب أن تكون الأجزاء في القصيدة مثل البنية الحية، لكل جزء وعضو فيها وظيفة معينة تعمل على تحقيقها، ويؤدي بعضها إلى بعض من خلال تسلسل في المشاعر والتفكير[3].

1) مفهوم وحدة القصيدة العربية، ليسرا صالح، ص: 2. بتصرف.
2) المرجع السابق، ص: 4.
3) ينظر: النقد الأدبي الحديث، لمحمد غنيمي هلال، ص: 373.

المبحث: ماهيّة الوحدة الموضوعيّة وتاريخها وأنواعها، وموقف الناس منها، والمؤلفون والمؤلفات فيها

وفيه مطالب

المطلب الأوّل: ماهيّة الوحدة الموضوعيَّة

القاعدة: في القرآن الكريم وحدة موضوعيّة جاءت في كيفيّة لم يتصوّرها أدباء العرب وبلغاؤهم، لا الوحدة الموضوعيّة التي تعاهدوها وتعارفوا عليها، أمّا أدباء الغرب وبلغاؤهم فلا نقيم لهم ولا لأدبهم وزنًا.

القاعدة: إنّ الله صرّف الآيات في كتابه، وأزجى فيه فنونًا من الاقتضاب والاستطراد والتخلّص، وألّف بينها وجعلها ركامًا فرأينا أن الوحدة الموضوعية تخرج من خلالها، والذين لم يرزقوا إدراك هذا قالوا شططًا، وقالوا بتفكّك أجزاء القرآن وعدم التئامها وعدم المناسبة بينها.

القاعدة: هناك فرق بين الأدب العربيّ والأدب الأوربيّ، فجاءت الوحدة الموضوعيّة في الأدب العربيّ في كيفيّة لم يهتد إليها أدباء الغرب وبلغاؤهم، فعدوها عيبًا، فإذا هم ومن اتبعوهم وقلّدوهم من سفهائنا قالوا شططًا، وقالوا بتفكّك القصيدة العربيّة، واقتصار وحدتها على الوزن والقافية دون المعنى.

الشرح:

معنى التخلّص والاستطراد والاقتضاب والانتقال

أمّا **التخلّص** فهو كما ذكر السيوطيّ: "أن ينتقل المتكلّم ممّا بدأ به الكلام إلى المقصود بوجه سهل يختلسه اختلاسًا، ودقيق المعنى، فلا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأوّل إلى الثالث، بسبب شدّة الالتئام بينهما"[1].

ويمكن أن يعرف بأنّه أن يأخذ المتكلّم "في معنى معين، فبينما هو فيه يتناوله ينتقل منه إلى معنى غيره ويجعل الأوّل سببًا له، فيكون بعضه آخذًا برقاب بعض، دون قطع الكلام، ومن ثم يستأنف كلامًا آخر، بل يكون كل كلامه كأنه قد أفرغ إفراغًا، وهذا أمر يشير ويدل على قوة تصرف الأديب الشاعر وحذاقته، وذلك بسبب أنّ نطاق الكلام يضيق عليه، ويكون متّبعًا للقافية والوزن اللازم، فلا تواتيه تلك الألفاظ بما ينسجم مع إرادته، وأمّا الأديب الناثر فإنّك تجده مطلق العنان يمضي كيفما يشاء، فلذلك يصعب (التخلص) على الشاعر أكثر ممّا يصعب على الناثر"[2].

1) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، 373/3. بتصرف.
2) المثل السائر، لابن الأثير، 121/3.

وأمّا **الاستطراد** فهو "أن يبدأ المتكلّم في فنّ من فنون القول، ويستمرّ عليه، ثمّ يخرج منه أو من الغرض الذي هو يتناوله إلى غرض آخر وذلك لوجود مناسبة بينهما، ثمّ يرجع، فيعود إلى إتمام الكلام الأوّل"[1].

هذا وإنّ الاستطراد يذكر في باب (المناسبة بين الآيات) في علوم القرآن؛ يقال: اطّرد الشيء إذا تبع بعضه بعضًا.

وأمّا **الاقتضاب** فإنّه ضدّ التخلّص، وذلك: "أن يقطع الشاعر حديثه الذي هو فيه ويبتدأ بحديث آخر غيره من هجاء أو مديح أو غير ذلك، ولا يكون للثاني علاقة بالأوّل"[2].

وأمّا **الالتفات**: "فهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، من تكلّم إلى خطاب، ومن خطاب إلى تكلّم، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب، ومن واحد إلى جمع ومن جمع إلى واحد، ومن مضارع إلى ماض وهكذا"[3].

وأمّا **الانتقال** "فهو أن ينتقل من يقوم بالاستدلال إلى استدلال أو مثال غير الذي كان يتناوله، وذلك لأن الخصم لم يعرف وجه الدلالة من البداية أو أنّه قد فهمه لكنّه يريد المغالطة ويتعمدها، فيأتي حينها من يقوم بالاستدلال بمثال أو دليل آخر، فلا يكون للخصم مفر دون الانقطاع أو التسليم[4]. وهو أحد وسائل الجدل والاستدلال في كتاب الله تعالى، ومنه قوله تعالى عن مناظرة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام للنمروذ التي وردت في الآية 258 من سورة البقرة: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"، حيث إنه لما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام للنمروذ "رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ" وقال النمروذ "أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ" فدعا رجلين وجب عليهما القتل فأعتق أحدهما، وقتل آخر، فعلم الخليل أنّه يجهل معنى الإحياء والإماتة، أو يغالط، فانتقل عليه السلام إلى استدلال بشيء آخر لا يجد الخصم منه مفرًّا دون تسليم أو انقطاع، فقال: "فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ.."."

وبهذا يتبيّن لنا أنّ هناك معنى جامعًا يجمع بين الاقتضاب والتخلّص والاستطراد وهو الانتقال، وأنّ هناك فرقًا بين الاقتضاب والتخلّص والاستطراد، لأنّ العلاقة مُلغاة من خلال الانتقال من معنى إلى آخر مع الاقتضاب.

والتحقيق:

1) جواهر البلاغة، للهاشمي، 302/1 بتصرف.
2) المثل السائر، لابن الأثير، 244/2. بتصرف يسير.
3) أساليب بلاغية، لأحمد مطلوب، 272/1. بتصرف يسير.
4) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، 65/4.

إنّ الانتقال فنّ من فنون البلاغة يندرج تحته عدد من الفنون، فهو قد يكون من صيغة أو جهة إلى صيغة وجهة فيسمّى التفاتًا وقد يكون من موضوع إلى موضوع مقصود بالذات مع الانقطاع الكليّ ومع المناسبة الظاهرة بينهما فيسمّى تخلّصًا، وقد يكون من موضوع إلى موضوع مقصود بالعرض مع نيّة الرجوع والإكمال والإتمام ومع المناسبة الظاهرة بينهما فيسمّى استطرادًا، وقد يكون من موضوع إلى موضوع مقصود بالعرض مع الانقطاع الكليّ ومع المناسبة الغامضة بينهما فيسمّى اقتضابًا.

وإنّ العرب لا تسير على أسلوب واحد أو على جهة واحدة أو على صيغة واحدة في كلامها، بل تنتقل من أسلوب أو موضوع أو جهة أو صيغة إلى أخرى، لتنشيط السامع والمستمع، ودفع السآمة والضجر والملل عنه، أو لإظهار ملكتها في الكلام، واقتدارها على التصرّف فيه، أو لغير هذا من المقاصد التي تتحرّاها في كلامها. وإن كتاب الله ليس بخال من التخلّص، بل ما فيه من التخلّص من إعجازه.

والتخلص في القرآن: هو الانتقال من الكلام إلى كلام آخر من خلال لطيفة تنسجم مع الكلام الذي انتقل منه، والذي انتقل إليه، أو بمناسبة لطيفة بينهما علاقتها السببية ظاهرة أو غامضة، دون أن يقطع الكلام، ويبتدأ كلامًا آخر. بل يكون بعضه آخذًا برقاب بعض فيكون جميع الكلام كأنما أفرغ إفراغًا، كالخروج من الوعظ والبشارة بالجنّة والتذكير بالإنذار إلى الأمر والنهي والوعد والوعيد، ومن المحكم إلى المتشابه، ومن مدح النبيّ المرسل والملك المنزل إلى ذمّ الشيطان المارد والجبّار العنيد، ومن أمثلة ذلك أي التخلّص أو حسن التخلّص قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في الآية 87 من سورة الشعراء: ''وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ''، ثمّ تخلّص منه إلى وصف المعاد في الآية التالية بقوله: ''يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ''.

وقوله تعالى في الآية 5 من الفاتحة: ''إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ''، حيث تخلّص من موضوع هو وسيلة إلى موضوع هو غاية، وهذا فيه براعة الطلب أو حسن المطلب حيث قدم تعظيم الممدوح على الطلب والغرض المقصود هو الاستعانة.

وإنّ كتاب الله ليس بخال من الاستطراد كما توهّم بعض المتوهّمين، بل ما فيه من الاستطراد من إعجازه.

والاستطراد في القرآن: هو انتقال من غرض إلى غرض آخر مقصود بالعرض أو من موضوع إلى موضوع آخر مقصود بالعرض لمناسبة بينهما، ثمّ يعود إلى إتمام الكلام الأوّل، ومن ذلك قوله عز شأنه في الآية 26 من سورة الأعراف: ''يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ''، وقد ورد في تفسير الكشاف أن هذه الآية جاءت على سبيل الاستطراد وذلك عقيب الحديث عن السوءات، وخصف الورقات

عليها، إظهارًا للفضل الإلهي والمنة فيما جعله للناس من اللباس، وما لانكشاف العورة والعري فضيحة ومهانة، وإشعارًا للناس بأن الستر باب جليل من أبواب التقوى[1].

والفرق بين التخلّص والاستطراد: هو أنّنا تركنا في التخلّص ما كنّا فيه بالكلّيّة أقبلنا على إلى تخلّصنا إليه، وأمّا في الاستطراد فإنّنا نمرّ بالحديث عن الأمر الذي استطردنا إليه مرورًا سريعًا، ثمّ نتركه إلى ما كنّا فيه كأنّنا لم نقصده، وإنّما عرض عرضًا.

وإن كتاب الله ليس بخال من الاقتضاب كما توهّم بعض المتوهّمين، بل ما فيه من الاقتضاب من إعجازه.

والاقتضاب في القرآن: هو انتقال من غرض إلى غرض آخر مقصود بالعرض أو من موضوع إلى موضوع آخر مقصود بالعرض مع قطع الكلام، واستئناف كلام آخر لمناسبة لطيفة غامضة بينهما، يكون بعضهما آخذًا برقاب بعض الآخر، فيكون جميع الكلام كأنّما أفرغ إفراغًا، وهو ليس بضدّ التخلّص بل المناسبة موجودة فيهما، إلّا أنّها ظاهرة في التخلّص وغامضة في الاقتضاب.

ومن ذلك قوله عز وجل الآية 49 من سورة ص: "هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ"، فقد انتقل إلى الحديث عن (المتّقين) بعد الحديث عن (الأنبياء) فاصلًا بين الحديثين بكلمة (هذا)، ثم انتقل إلى الحديث عن (الطاغين) بعد الحديث عن (المتقين)، فقال في الآية 55 من السورة: "هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ".

[1]) ينظر: تفسير روح المعاني، للآلوسي. بتصرف.

المطلب الثاني: أنواع الوحدة الموضوعيّة

تنقسم الوحدة الموضوعيّة في القرآن إلى ثلاثة أنواع[1]:

1. على مستوى القرآن.
2. على مستوى السورة.
3. على مستوى الآية أو المقطع (مجموعة آيات) من السورة.

فالسياق قد يضاف إلى مقطع من سورة (أي مجموعة من الآيات) التي تتناول غرضًا واحدًا أساسيًّا، كما أنه قد يقتصر السياق أيضًا على آية واحدة فحسب ويُضاف إليها، وقد يكون ممتدًا على مستوى السورة، وقد يطلق السياق أيضًا على مستوى القرآن ويضاف إليها، بمعنى أن هناك سياق على مستوى الآية، وعلى مستوى المقطع، وعلى مستوى السورة، وعلى مستوى القرآن، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى[2].

وقد عد الإمام الشاطبي أن مراعاة السياق عنصرًا مهمًا من العناصر التي تعين على الاعتدال في التفسير، وتحقيق الفهم السليم، وبين أن لا بد للمفسر المتفهم من رد نهاية الكلام على أوله، وأوله على نهايته، لأنه بذلك يتحقق مقصود الشارع في فهم المكلف، ووضح أن التفريق في النظر بين أجزائه لا يتوصّل به إلى مراده، وبين أيضًا أنه لا يصحّ الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض[3].

وبين الدهلوي أنه لا بد للمفسر أن ينظر إلى شرح الغريب في القرآن نظرتين، وأن يزنه وزنًا علميًّا أيضًا مرتين: المرة الأولى في استعمال أهل اللغة العرب، وذلك ليعرف أي وجه من الوجوه هو أرجح وأقوى. وفي المرة الثانية ينظر في مناسبة ما هو سابق للاحق، وذلك بعد إحكام أسس هذا العلم ومقدماته، وأن يفحص الآثار ويتتبع موارد الاستعمال، وذلك ليعرف أي صورة من صورها أولى وأنسب، إلى غير ذلك من الأقوال التي تؤيد ما قدمنا[4].

1)يُنظر: السياق القرآني وأثره في التفسير، لأحمد نصر، ص 142 وما بعدها. بتصرف واختصار. والسياق القرآني وأثره في التفسير، لعبد الرحمن المطيري، ص 94.

2) ينظر: السياق القرآني، لعبد الرحمن المطيري، ص 104؛ نقلاً عن دلالة السياق، لعبد الوهاب الحارثي، ص 88.

3) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 4/266.

4) ينظر: الفوز الكبير في أصول التفسير، للدهلوي، 1/182. بتصرف يسير.

المطلب الثالث: تاريخ فنّ الوحدة الموضوعيّة

مقدّمة تاريخيّة:

"لقد طُرح مفهوم الوحدة عبر العصور المختلفة، وتناوله كثير من الدارسين من زوايا مُختلفة... ويبدو أنّ أوّل من تحدّث عن الوحدة هو أفلاطون (429 – 337 ق.م) إذ قال في محاورة فايدروس: ((أحسب أنّك توافقني أنّ كلّ خطاب يجب أن يكون منظّمًا كتنظيم الكائن الحيّ، فيكون له جسم ولا يكون مبتور الرأس أو القدم، ولكنّه في جسده وأعضائه مؤلف تأليفًا بحيث تتحقق الصلة بين كل عضو وآخر ثم بين الأعضاء جميعًا))"[1].

هذا وإن أصول فنّ الوحدة الموضوعيّة كانت موجودة منذ عهد النبيّ ﷺ، ويمكن أن يستدلّ على وجودها في السنة النبوية بأمور منها ما رواه ابن عباس: "قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَاكَ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ"، فهذا يدلّ على أن موضوع تلك السور قد ارتكز على ما من شأنه أن يؤدي للمشيب[2].

وإنَّ هذا الفن ليس بِدْعًا من علوم القرآن، بل هو حصيلة لحديث الأوّلين وإشاراتهم عن السور القرآنيّة وموضوعاتها ومقاصدها، وقد أخذ هذا الفنّ يتطور شيئًا فشيئًا بمرور الزمن حتّى خرجت تفاسير كاملة قائمة على نظريّة الوحدة الموضوعيّة في السورة القرآنيّة[3].

[1]) الوحدة العضوية في شعر زهير بن أبي سلمى، لعبيد صطوف الشحادة، ص 63، بتصرف.

2) يُنظر: فيض الرحمن في التفسير الموضوعي للقرآن، لتوفيق علوان، ص 386.

3) يُنظر: منهج التفسير الموضوعي، لسامر رشواني، ص 251.

المطلب الرابع: موقف الناس من الوحدة الموضوعيّة في القرآن

اختلف الناس هل في القرآن وحدة موضوعية أو لا؟ فقال المستشرقون وأعوانهم وأتباعهم بعدم وجوده، وقال المحقّقون من العلماء بوجوده.

لما رأى بعض المستشرقين أنّه قد تعدّدت موضوعات القرآن زعموا أنّ هذا عيب يُؤخذ على القرآن، لأنّ ترتيبه جاء مخالفًا لترتيب الكتب الوضعيّة، فليس له مقدّمة ومباحث وخاتمة، وإنّما هو آيات مجتمعة ذات مقاصد مختلفة، وذهبوا إلى أنّ القرآن مفكّك الأجزاء، متشتّت المعاني والأغراض.

وأوصى المستشرق رينهارتدوزيReinhart Dozy (ت: 1883م)، وكارليل بروكلمان CarlBrockelmann (ت: 1956م)، وريجيس بلاشيرRégisBlachère (ت: 1973م)[1]،بإعادة ترتيب القرآن وفق نزوله من أجل تحقيق فهم أكبر للقرآن.

فمثلًا قال الأخير: "وقلّما وجدنا بين الكتب الدينيّة الشرقيّة كتابًا بلبل دأبنا الفكريّ أكثر ممّا فعله القرآن. فإنّا معاشر المتخصصين في الدراسات الإسلامية، حتّى ولو بذلنا جهدًا كبيرًا لبعث الجوّ الذي نمت فيه دعوة محمّد، فإننا سنكتشف تنافرًا لا يمكن دفعه بين هذا الجوّ وبين الشكل الذي اتّخذه المصحف: فأمام هذا النصّ الشائك بصعوباته، وكثير الغموض، والمدهش بأسلوبه الإيجازي الذي يغلب عليه التلميح، نتوقّف متلمّسين الفكرة الرئيسية التي تصل فيما بينها بمنطق كامل، شروحات وقصص يصعب الكشف عن ترابطها"[2].

أما المحققون من العلماء فعلموا أنّ هذه شبهة سخيفة لكنّ فتنتها عظيمة يجب التصدّي لها ودحضها من خلال بيان الوحدة الموضوعيّة في القرآن وسوره وإثباتها، وأثبتوا أنّ القرآن جميعه متعلّق بعضه ببعض، إلّا ما خفي تعلّقه في الظاهر.

هذا وإنّه قد استدلّ القائلون بالوحدة الموضوعيّة في سور القرآن بأدلة منها:

"أوّلًا: أن تكون هناك مناسبات شتّى بين أجزاء القرآن كلّها، وأن تكون سورة الفاتحة أمًّا للقرآن وسوره من حيث معانيه وموضوعاته.

ثانيًا: أن يكون افتراق المكي عن المدني في مقاصده وقضاياه التي يناقشها ويعرضها؛ من أعظم الأدلة على اعتبار الوحدة الموضوعيّة في القرآن وسوره.

---

1) يُنظر: الصعيدي، النظم في الفني في القرآن، ص: 3 ، 4. وحجازي، الوحدة الموضوعية ، ص:14.

2) بلاشير، القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ص: 41. بتصرف يسير.

ثالثًا: أن يكون للقرآن أسماء خاصة به يشير كلّ واحد منها إلى مقاصده وقضاياه التي يعرضها ويناقشها ويعطينا الطابع الذي هو يشكل ملامح القرآن، وكذلك أن يكون لكلّ سورة اسم خاصّ بها يشير إلى المعاني التي تضمّنتها، ويعطينا الطابع العام الذي يشكّل ملامح السورة"[1].

هذا وإنّه قد اختلف الناس في وجود الوحدة الموضوعيّة في الشعر الجاهلي، فمنهم من أنكر وجودها مطلقًا، لأنّ القصيدة العربيّة ليست وحدة ملتئمة الأجزاء بل متفكّكة تقتصر وحدتها على الوزن والقافية دون المعنى. ولعلّ هؤلاء افتتنوا بالأدب الأوربيّ الحديث، ومنهم من قال بوجودها مطلقًا.

والتحقيق:

إنّ منه ما فيه الوحدة الموضوعيّة ظاهرة، ومنه ما فيه الوحدة الموضوعيّة خفيّة، وجاء الكلام فيه على الاقتضاب والمناسبة بين المنقول منه والمنقول إليه غامضة، ومنه ما فيه الوحدة الموضوعيّة منعدمة جاء على الاقتضاب عاريًا عن المناسبة.

1) https://albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=6580 بتصرف يسير.

المطلب الخامس: الوسائل والضوابط والمعايير المعينة على معرفة الوحدة الموضوعيّة في القرآن وسوره

إنّ البحث عن الوحدة الموضوعيّة في السورة القرآنيّة لا يتمّ بدراسة المعاني والمفردات والتراكيب فقط، بل يجب أن ندرس كلّ ذلك على أساس الوحدة الموضوعيّة في التفسير، أي في ظلّ الواقع ومعطيات العلوم القاطعة التي يتوقّف تفسير الآية عليها، وفي ضوء عِلم المناسبة وخصائص القرآن البيانية والبديعية والأسلوبيّة والتعبيريّة، وخصائصه الفكريّة والموضوعيّة وأغراضه وأهدافه وموضوعه الذي هو عامّ وشامل[1].

أما الطرق التي تسلك في التعرف على الوحدة الموضوعيّة للسورة فكثيرة؛ منها ما يلي:

- دراسة اسم السورة الذي قد ثبت عن رسول الله ﷺ، أو صحابته؛ فإنَّ اسم السورة يرتبط بموضوعاتها، ووحدتها الموضوعية ويترجم في الغالب عن المقصد العامّ للسورة وموضوعها الرئيسي.
- دراسة سبب نزول السورة؛ فإنَّ التعرف على سبب النزول يساعد على تعيين وحدتها الموضوعيّة، فسورة الممتحنة – مثلًا – نزلت بسبب مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة لأناس من مشركي مكّة يخبرهم فيها بتجهز رسول الله ﷺ للقدوم عليهم، ومحور سورة الممتحنة هو قضيّة الولاء والبراء؛ فقد كان بعض المسلمين الأوائل في المجتمع المدنيّ لا يزالون بعد متأثّرين بما اعتادوه من الولاء للقبيلة والعشيرة والعصبة؛ فجاءت هذه السورة لتلغي ذلك كله.
- دراسة الأحاديث والآثار الواردة في فضائل السورة، فإنّ التعرّف على فضائل السورة يكشف عن موضوع السورة ومحورها الأساسيّ أي الأمر الجامع الذي يجمع موضوعات السورة في نسق واحد.
- دراسة موضوعات السورة وأغراضها الأساسيّة فإنّ التعرف على ذلك يفضي غالبًا إلى معرفة رابط يجمع بين هذه الموضوعات والأغراض.
- دراسة زمن نزول السورة ومكانها؛ فإنَّ التعرف على مكّيّة السورة ومدنيّتها ممّا يكشف عن موضوع السورة ومحورها وأغراضها وغاياتها وأهدافها ووجوه معالجاتها.
- دراسة ترتيب السورة ومناسباتها. فإنَّ التعرف على ذلك ممّا يعين على تحديد محور السورة ووحدتها الموضوعيّة[2].

1) يُنظر: بين علم المناسبة والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، لزهراء العبيدي، ص 84.

2) الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، لعبد العزيز الخضيري، ص 89 وما بعدها.

- دراسة عدد آيات السورة واختلاف عدّها وعددها وسببه، ومعرفة معاني السورة إجماليًّا، وحصر موضوعاتها ومقاصدها، وتقسيمها إلى مقاطع باعتبار موضوعاتها.[1]

1)التناسق الموضوعي في السور القرآنية، لمحمد بازمول، ص 43. (بتصرف يسير).

المطلب السادس: المؤلفون والمؤلفات في فنّ الوحدة الموضوعيّة

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المؤلّفون

اهتمّ بهذا الفنّ مؤلّفون كثيرون منهم:

- **الباقلانيّ** (ت: 403هـ): لقد عدّد لبعض السور غرضًا معينًا عليه بُنيت وإليه قصدت، فقد بيّن أن جميع السور التي قد بُدأت بالحروف المقطعة قد أُشبع فيها بيان القرآن، وبينت أيضًا لزوم الحجة القرآنية، ونبهت أيضًا على وجه معجزته، وقد ضرب مثالًا على هذا الأمر بسورة سورة غافر والدخان[1].

- **ابن العربيّ** (ت: 543هـ): يُعتبر من أوائل من تحدّث عن الوحدة الموضوعيّة والترابط في السور، إذ بين أن ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض، حتى نجدها كالكلمة الواحدة، بانتظام المباني واتساق المعاني فيها، هو علم عظيم لم يتعرض له سوى عالم واحد عمل فيه في سورة البقرة، وبين أن الله تعالى قد فتح له فيه فلما لم يجد له حملة يحملونه، ختم عليه وجعله بين وبين ربه ورده إليه[2].

- **فخر الدين الرازيّ** (ت: 606هـ): أشار إلى قضايا تتّصل بالوحدة الموضوعيّة وبيّن أهميّة إدراك مقاصد السور ومعرفة المناسبات بين الآيات والسور والموضوعات.

- **ابن تيمية** (ت: 728هـ): كان ابن تيمية ممن اهتم بوحدة السورة والموضوعات التي تدور عليها، وقد بين أن سورة البقرة قد اشتملت على تقرير أمرين هما: الأول: أصول العلم، والثاني: قواعد الدين، ثم ذكر الموضوعات التي اشتملت عليها السورة، وبعد انتهى من عرض ما اشتملت عليه قال: "فتدبّر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض"[3].

- **ابن قيّم الجوزيّة** (ت: 752هـ): اهتم ابن القيم أيضًا كما اهتم شيخه بالوحدة في السور القرآنية، فعلى سبيل المثال بين أن مضمون سورة العنكبوت هو: سر الخلق والأمر، وبين أن هذه السورة هي سورة الامتحان والابتلاء ووصف حال أهل البلاء في الدار الدنيا وفي الآخرة أيضًا، وقال أن من تأمل الافتتاح

1) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص 11 – 12.
2) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، 5/1387.
3) ينظر: مجموعة الفتاوى، لابن تيمية، 32 و 14/29.

في السورة ووسطها والخاتمة فيها سيرى أن في محتواها ومضمونها أن أول الأمر امتحان وابتلاء، ووسطه توكل وصبر، وآخره نصر وهداية[1].

- **الشاطبي** (ت: 790هـ): أشار في العديد من المواضع في كتابه الشهير (الموافقات) إلى وجوب النظر والبحث عن القضيّة الواحدة في السورة، واعتبر أنّ السورة تنقسم إلى: مقدّمات وتمهيدات، ومؤكّدات ومتمّمات، والمقصود من التنزيل، وخواتم مؤكّدة ومثبتة ما سبق، وبين في حدثيه أن سورة البقرة أن أول سورة أنزلت بعد الهجرة هي سورة البقرة، وقد قررت هذه السورة قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام، فإنها وضحت من أقسام أفعال المكلفين جملتها، وإن تبين غيرها تفاصيل لها كالعبادات والعادات والمعاملات والجنايات، وأيضًا بين أن حفظ (الدين) و (النفس) و(العقل) و(النسل) و(المال) مُضمنٌ فيها. وقال في حديثه عن سورة الأنعام أنها قد تبين قواعد العقائد وكذلك أصول الدين، وأن العلماء قد استخرجوا منها قواعد التوحيد التي كتب فيها المتكلمون ابتداءً من إثبات واجب الوجود انتهاءً إلى إثبات الإمامة[2].

- **الفيروزآبادي** (ت: 817هـ): قام في كتابه بصائر ذوي التمييز بتعريف سور القرآن وبيان محتوياتها وموضوعاتها التي دارت حولها.

- **المهايمي** (ت: 835هـ): بين المهايمي في مقدمة تفسيره أن من صور الإعجاز قضية ربط الكلمات وترتيب الآيات، وأن هذا الربط والترتيب كان يعد من الألغاز، وقال أن (كل كلمة سلطان دارها)، و(كل آية برهان جارها)[3].

- **البقاعي** (ت: 885هـ): قام في تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) وكتابه (مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور) ببيان مقاصد كلّ سورة من السور القرآنيّة، وربط بين المواضوعات المتنوّعة التي عرضت لها السور، وتجاوز النظرة الجزئية في العلاقة بين الآيات المتقاربة إلى النظر في العلاقة التي تربط الآيات ولو كانت مُتباعدة.

- **عبد الحميد الفراهي** (ت: 1349هـ): قام في كتابه (دلائل النظام) بوضع نظريّته التي تقوم على مبدأ أنَّ كتاب الله إنما هو كلام له ترتيب ونظام، وذلك من أوّله إلى آخره ، وليس فيه اقتضاب سواءً على

1) ينظر: شفاء العليل، لابن قيم الجوزية، ص 247.
2) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 269 و 257 و 4/256.
3) ينظر: تفسير تبصير الرحمن وتيسير المنان، للمهايمي، 1/3.

مستوى الآيات أو السور، بل آياته مرتّبة في السور كما ترتب الفصوص في الخواتم وسوره منظومة في سلك واحد كما تُسلك الدرر في القلائد، حتّى لو قُدِّم ما تم تأخيره فيها أو أُخِّرَ ما تم تقديمه فيها لَبَطُلَ النظام وفسدت بلاغة الكلام، وهو يعد أنّ كلّ سورة لها عمود أساسي تجري إليه أجزاؤها، ويربط الآيات بعضها ببعض حتّى تأخذ كلّ آيات محلّها الخاص بها. وقام بتطبيق نظريّته في تفسيره (نظام القرآن).

- **محمد عبد الله دراز** (ت: 1377هـ): بيّن في كتابه (النبأ العظيم) أنَّ السورة ذات (بنية متماسكة) و(وحدة) و(نظام معنويّ). وأنَّ لا بدن من دراسة النسق القرآني، فلا يتقدم الباحث في النظر إلى الصلات الموضعية بين الأجزاء إلا بعد أن يُحكم النظر في كامل السورة والوقوف على مقاصدها وإحصاء أجزائها على وجه يساعده في فهم التفاصيل عن بينة، وبين الأئمة قد قالوا قديمًا أن السورة مهما تعددت وتنوعت القضايا والموضوعات فما هي إلا كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وينتهي بمجموعه وجملته إلى غرض واحد، وذلك كما تتعلق الجمل في القضية الواحدة، وأن لا غنى للمتفهم عن استيفاء النظر في جميع السورة، كما أنه لا يوجد غنى النظر في أجزائها[1].

- **سيد قطب** (ت: 1386هـ): ذهب زرزور إلى أن سيد قطب قد يكون أول مفسر قد أبرز الوحدة الموضوعية في السورة، سواءً منها الطويلة أو القصيرة، وقد أبرز هذه الوحدة بصور عملية، ويعد تطبيقه هذا أفضل تطبيق عرفته مكتبة التفسيرات القرآنية إلى الآن، وذهب إلى أن المفسرين السابقين لسيد قطب منهم من لم يلاحظ الوحدة فلم يسلم بوجودها، ومنهم من قال بوجودها ولكنه لم يوفق في إخراجها أو تطبيقها، ولم يبلغ درجة الإقناع[2]. وقد وجد سيد قطب أن كل سورة لها شخصية تميزها عما سواها، لها روح خاصة بها، ولها موضوع أساسي أو عدة موضوعات أساسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جو يظلل موضوعاتها، ويتحقق التناسق داخلها بما يتوافق وهذا الجو الخاص بها[3].

- **سعيد حوى** (ت: 1409هـ): وبنى الشيخ نظريّة الوحدة الموضوعيّة على اعتبار أنّ السورة الأولى في القرآن وهي الفاتحة تجمع مقاصد القرآن، وأما البقرة فقد فصلت ما تم إجماله في الفاتحة، وذهب إلى أن جميع السور القرآن ما هي إلا تفصيل لمعانٍ وردت في بعض آيات سورة البقرة، وذكر أن الخاصية الأولى لتفسير والتي يمكن عدها ميزته الأساسية أن هذا التفسير قدم نظرية جديدة في قضية وحدة القرآن، وبين

[1]) ينظر: النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز، ص 196.
[2]) ينظر: علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، لعدنان زرزور، ص: 432.
[3]) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، 1/ 27 – 28.

أن هذا الموضوع قد حاوله كثيرون من قبله، وكتبوا فيه أبحاثًا ومؤلفات وتوصلوا إلى أشياء كثيرة، وأن معظم اشتغالهم كان يدور قضايا متعددة ومنها مناسبة الآيات، ولم يزيدوا على ذلك[1].

- **محمد الغزالي** (ت 1416هـ): طبّق نظريّة الوحدة الموضوعيّة في كتاب، وبيّن في مقدّمته ذلك، وذكر أنه قد عُني بوحدة الموضوع في السورة عناية شديدة، وإن كانت تلك السورة كثيرة القضايا، وقد اقتدى في ذلك بالشيخ دراز في تناوله لسورة البقرة، حيث جعل منها باقة واحدة نضيدة ملونة، وبيّن أن شعر أن المسلمين لديهم حاجة إلى هذا النوع من التفسير، وأنه ينبغي له الغوص في أعماق الآية ليدرك علاقتها بما يسبقها ويلحق بها، وأن يتعرف على السوء كلها متساوقة متماسكة[2].

- **أحمد بن كمال الخطيب ابن شهيد ميسلون** (ت:1421هـ): قام بتأليف كتاب اسمه (نظرة العجلان في أغراض القرآن بمناسبات آياته ووحدة الموضوع في سوره)، وقال عنه مصطفى الزرقا: "هذا الكتاب الذي يضمّه مؤلّفه الكريم إلى مجموعة المباحث المتعلّقة بالقرآن هو خطوة جديدة في خدمة ناحية قرآنيّة لم تُفرد بعدُ بالبحث، فهو يحاولُ أن يكشف فيه عن جهة من أهمّ جهات البحث، وهي وحدة موضوع السورة وتناسب أغراضها وتسلسلها، فهو يرسم في كلّ سورة مخطط موضوعها وعناصر مباحثها، كما يرسم الكاتب اليوم في موضوع ما عناصر بحثه، ثمّ يفيض في معالجتها متنقّلًا من عنصر إلى عنصر ضمن حدود الموضوع في مُختلف شُعَبِه وأغراضه، وبتعبير آخر: إنّه يبحث عن التناسب بين مجموعة وأخرى من الآيات في كلّ سورة"[3]. ويمكن القول إن أحمد الخطيب هو من أول من ألف كتابًا يشتمل عنوانه على (الوحدة الموضوعية)، وأما الفكرة فقد سبق إليها بعض الدارسين.

- **عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني** (ت: 1425هـ): التزم الميدانيّ في تفسيره (معارج التفكر ودقائق التدبّر) بتقسيم السور القرآنيّة إلى مقاطع مراعيًا وحدة موضوع السورة، وقد تحدّث عن الوحدة الموضوعيّة في كتابه (قواعد التدبر الأمثل) الذي طبّق قواعده على تفسيره، فقال: "بالتتبّع الطويل اهتديت إلى أنَّ السورة مُتعانقة الآيات والجُمل في الآية حول موضوع كلّي واحد..."، وقال: "إنّ السورة القرآنيّة من الناحية البيانيّة والمعاني والدلالات التي اشتملت عليها بمثابة حلية أدبيّة فذّة رائعة، فهي ذات موضوع كلّي واحد، إلا أنّ وحدة الموضوع في كلّ سورة قد لا تستبين بالنظرة السطحية، ولا بالنظرة الجزئية"[4].

---

[1]) ينظر: الأساس في التفسير، لسعيد حوى، 21/1. بتصرف واختصار يسير.

[2]) ينظر: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، لمحمد الغزالي، ص 5.

[3]) نظرة العجلان في أغراض القرآن، لمحمد بن كمال الخطيب، ص 8.

[4]) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ، لعبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، ص 27 – 28. و ص 29. بتصرف واختصار.

- **وهبة الزحيلي** (ت: 1436هـ): اهتمّ الزحيلي بقضية الوحدة الموضوعيّة في السور القرآنيّة في تفسيره، فذهب على سبيل المثال إلى أن موضوع سورة المجادلة بيان الأحكام التشريعية وذلك كحال أغلب السور المدنية، ثم تحدث عن الموضوعات التي تضمنتها السورة كحكم الظهار، والتناجي، وآداب المجالس، وغير ذلك من الموضوعات التي تناولتها السورة، وذكر أيضًا أن آيات هذه السورة بأكملها قد اشتملت كل آية فيها على لفظ الجلالة، وذلك لتربية مهابة الله عز وجل في نفوس الناس، وعدم الجرأة على مخالفة أحكامه تعالى[1].

- **طه جابر العلواني** (ت: 1437هـ): ألف كتابًا تحدّث فيه عن قضية الوحدة البنائيّة في القرآن الكريم، وقال فيه أن جمهور المعنيين بدراسات القرآن قد سلموا بوجود وحدة بنائية على مستوى السورة القرآنية، وأن السورة تتصف بالوحدة ويوجد عمود يقوم بناؤها عليه، وذلك العمود هو ما يسمى بموضوعها الأساسي، وما تبقى من الموضوعات يعتبر مساند ويدور حول العمود، وكأنا أوتاد معززة ومعضدة للعمود الأساسي[2].

المسألة الثانية: المؤلفات

هناك مؤلفات كثيرة فمنها:

أ–التفاسير التي اعتنت بالوحدة الموضوعيّة:

مفاتيح الغيب للرازيّ (ت: 606هـ)، ونظم الدرر للبقاعيّ (ت: 885هـ)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، وتناسق الدرر للسيوطيّ (ت: 911هـ)، وروح المعاني للألوسيّ، وفي ظلال القرآن لسيّد قطب (ت: 1386هـ)، ونظم القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان لعبد الحميد الفراهيّ (ت: 1349هـ)، والأساس في التفسير لسعيد حوّى (ت: 1409هـ)، ومعارج التفكّر ودقائق التدبّر لعبد الرحمن حبنكه الميدانيّ (ت: 1425هـ)، والتفسير الوجيز لوهبة الزحيليّ، (ت: 1436هـ)، والتفسير الموضوعيّ لسور القرآن الكريم تحت إشراف مصطفى مسلم (ت: 1442هـ).

ب– الكتب التي تناولت فنّ الوحدة الموضوعيّة من الناحية النظريّة:

(الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم) لمحمد حجازيّ، و(نظرية الوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التفسير)، لأحمد الشرقاويّ، و(تحرير التفسير الموضوعيّ والوحدة الموضوعيّة للسورة)، لمحمّد عمر

[1]) التفسير المنير، لوهبة الزحيلي، 376/14. بتصرف واختصار يسير.
[2]) ينظر: الوحدة البنائية للقرآن المجيد، لطه جابر العلواني، ص 60.

سالم بازمول، و(الوحدة البنائيّة للقرآن المجيد)، لطه جابر العلواني.

ج – الكتب التي تناولت فنّ الوحدة الموضوعيّة من الناحية التطبيقيّة:

(نحو تفسير موضوعيّ لسور القرآن الكريم) لمحمد الغزالي (ت: 1416هـ)، و(الوحدة الموضوعيّة في سورة يوسف)، لحسن باجودة، و(بغية الطلاب في موضوعات سورة الأحزاب)، لمحمّد العواجي.

د – الكتب التي تناولت فنّ الوحدة الموضوعيّة من الناحية النظريّة والتطبيقيّة:

النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز (ت: 1377هـ)، والبرهان في نظام القرآن. نظام سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران، لمحمد سبحانيّ، والوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم والسور القرآنيّة: التفسير الموضوعيّ ومنهج البحث فيه، لمحمود الأطرش، ونظرات قرآنيّة حول التفسير الموضوعيّ للسورة القرآنية مع نموذج سورة البقرة، لسيد محمد زهير.

هـ –البحوث الجامعيّة العلميّة التي تناولت فنّ الوحدة الموضوعيّة:

(الانفرادات اللفظية، دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنيّة: دراسة تطبيقيّة من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة) لشيرين فتحي.

و –رسائل الماجستير التي تناولت فنّ الوحدة الموضوعيّة:

(العلاقة بين الوحدة الموضوعيّة للسور القرآنيّة والقصص الوارد فيها: قصّتا مريم وعيسى عليهما السلام أنموذجًا) لغدير عدنان، (تجليات الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم من خلال سورة الواقعة)، لرابح محمد.

ز –الأبحاث المحكمة التي تناولت فنّ الوحدة الموضوعيّة في القرآن :

هناك بحوث كثيرة محكّمة تناولتها من الناحية النظريّة منها ما يلي:(الوحدة الموضوعيّة في السور القرآنيّة) لعبد العزيز الخضيريّ، و(نظرية الوحدة الموضوعيّة) لمحمد حسام سكاف، و(الوحدة الموضوعيّة وعلاقتها بعلوم القرآن الأخرى) لرضوان الأطرش ومسناوتي.

وهناك بحوث كثيرة محكمة تناولت الوحدة الموضوعيّة من الناحية التطبيقيّة منها ما يلي:(محور الوحدة الموضوعيّة لسورة البقرة: دراسة في مقاصد السور) لحسين الزوميّ، و(منهج محمد سيد طنطاوي في تناول الوحدة الموضوعيّة في السورة القرآنيّة من خلال التفسير الوسيط (سورة الأنفال أنموذجًا: دراسة تحليليّة مقارنة)، للينه الغويريّ وجهاد النصيرات، والوحدة الموضوعيّة بين سورتي الضحى والشرح) لماجدة خليفة، و(الوحدة الموضوعيّة في السور المتعدّدة القضايا في التفسير الإذاعيّ) للدكتور محمّد دراز، لدعاء أبي زيد، و(الوحدة الموضوعية في سورة الشمس)

لعبد الله سالم بافرج، و(الوحدة الموضوعيّة في سورة التحريم) لعاطف شاهين، و(الوحدة الموضوعيّة في سورة العصر) لصبحي اليازجيّ، و(الوحدة الموضوعيّة في سورة الأحقاف) لنجبة غلام نبي محمّد، و(الوحدة الموضوعيّة لسورة الجمعة)، لعواطف البساطيّ.

المطلب السابع: الموضوع العامّ والموضوعات الرئيسة في القرآن والعلاقة بينها وصور الوحدة الموضوعيّة في القرآن

القاعدة: للقرآن موضوع واحد وهو الهداية إلى ما فيه صلاح العباد وسعادتهم وعافيتهم في الأولى والآخرة، وما من موضوع فيه إلّا ويندرج تحته، وللوحدة الموضوعيّة في القرآن وجوه منها ما يدلّ عليه الواقع وما بين السورة الأولى والسورة الأخيرة منه وما بين أوّل ما نزل منه وآخر ما نزل، ومنها أنّه ما من موضوع في القرآن إلّا وهو يندرج تحت موضوع من موضوعات سورة الفاتحة من توحيد وعبادة وقصص وأخبار.

هذا وإنّ الواقع والنصوص كلّ ذلك يدلّ على أنّ الهداية هو موضوع محوريّ واحد للقرآن، أمّا النصوص فكثيرة منها:

- قوله تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ"[البقرة: 2].
- وقوله: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ"[البقرة: 185].
- وقوله: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ"[الإسراء: 9].
- وقوله: "قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [المائدة: 15-16].
- وقوله: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ" [النحل:89].
- وقوله: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ"[يونس:57].
- وقوله: "قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ"[فصلت: 44].
- وقوله: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[الشورى: 52].
- وقوله: "قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ"[الأحقاف: 30].
- وقوله: "وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ.."[الجن:13،2،1].

وأمّا الواقع فلا أحد ممّن علم الله فيه خيرا إلّا ويجد في القرآن ما يهتدي به، لأنّه احتوى ألوانًا متنوعة من أساليب الهدى والتأثير في الخلق رغم وجود اختلاف في لغاتهم وتخصصّاتهم، ولم يكن خاصًّا بالعرب وللخاصّة وحدهم بل هو للعرب وللعجم، وللخاصّة والعامّة، ولهذا فإنّ تأثيره حاصل فيهم أجمعين، وباق عليهم كلّ حين إلى يوم الدين، فكلّ من يسمع القرآن منهم يسجد إمّا لفصاحته وجزالته وبلاغته، وإمّا لما في أحكامه من إحكام وحكمة، وإمّا لما في قصصه من حكمة وعبرة، وإمّا لما في أدلّته وحججه وشواهده من قوّة وحكمة بالغة، وإمّا لما فيه من الدقّة العلميّة، وإمّا لما فيه إشارة إلى نشأة العلوم وإلى تمحيصها وغايتها فلا يوجد علم إلّا وقد نظر أهله في القرآن ومن ثم أخذوا منه مادّة علمهم، وصدق ربنا إذ قال: ‘‘سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ’’، وهكذا.

إنّ المتتبّع لأساليب تأثير القرآن وطرقه الموصلة إلى الاهتداء به يجد أن فيها تنوع وتعدد؛ وعلى ذلك أنّ الخلق مختلفون فمنهم من لا تدخل الهداية بالقرآن إلى قلوبهم إلّا من سبل مختلفة، فهناك نفوس تتصف بأنها تواقة وبالتالي يشدها الوعد بالخير، فحينما تقرأ ما أعدّ الله تعالى لعباده من خير تقبل على الهداية وترنو إليه، وهناك نفوس تتصف بها تتأثر بالزجر والتذكير والدفع، وهناك نفوس تتأثر بالألفاظ وقوّتها، وتؤثر فيها العبارات وجميل نظمها، والأساليب وحسن اتّساقها، والصور الذهنية وكيفية التعبير عنها، وهناك نفوس تعجب بالقصص فتجد في قصص القرآن عظات وعبر تشبعها وتعجبها، فقصص القرآن ليست كقصص غيره، لأنّ الغرض من ذكر قصص القرآن استقراء الوقائع، لا التسجيل المجرّد، ولا البحث التاريخيّ أو البحث الفنيّ، وإنّما الغرض منها هو هداية الناس ووعظهم وحثهم على الحصول على العبرة، وهناك نفوس أخرى تبحث عن البراهين المقنعة للعقول لتترك ما هي عليه من ضلال وعصيان.

وإنّه يحكى ‘‘أنّ أعرابيًا سمع رجلًا يقرأ: ‘‘فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ’’ [الحجر: 94] فسجد، وقال: سجدت لفصاحته، وسمع آخر رجلًا يقرأ: ‘‘فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا’’ [يوسف:80] فقال: أشهد أنّ مخلوقًا لا يقدر على مثل هذا الكلام’’.

وأنّ بعض العرب والعجم قديمًا تأثّروا بسماع القرآن فاهتدوا به، فآمنوا، فممّا يدلّ على ذلك نزول قوله تعالى في النجاشي وأصحابه: ‘‘وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ’’ [المائدة: 83].

أما الوحدة الموضوعيّة بين سورتي الفاتحة والناس فإنّنا نرى أنّهما اتّحدتا في موضوع الربوبيّة والألوهيّة والاستعانة بالله، فجاء في الأولى ربّ العالمين، وفي الثانية ربّ الناس فلأنّ من هو ربّ الناس يكون ربًّا للعالمين من باب أولى، وجاء في الأولى أنّ الاستعانة لا تكون إلّا بالله، وجاء في الثانية نوع من أنواع الاستعانة وهو الاستعاذة بالله.

وأمّا الوحدة الموضوعيّة بين أوّل وآخر ما نزل، فإنّنا نرى أنّهما اتّحدا في موضوع الإيمان فجاء في الأوّل أوّله وهو الإيمان بالله وجاء في الثاني آخره وهو الإيمان باليوم الآخر، "لأنّ حاصل المسائل الاعتقاديّة يرجع إلى مسائل المبدأ؛ وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه، ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث"... الخ[1].

وأما الوحدة الموضوعيّة في السور فمنها ما لها موضوع واحد كسورة الفيل والإخلاص، ومنها ما يوجد لها موضوع رئيس أو عدّة موضوعات رئيسية ترجع إلى محور خاصّ أساسي، ويكون للسورة جو خاصّ بها يظلّل موضاعاتها كلّها، فيكون سياقها عارضًا لهذه الموضوعات من زوايا وجوانب معيّنة، ويتحقق التناسق بينها أيضًا بما يتوافق وهذا الجو. وإنّ لكلّ سورة قرآنية شخصيّة مميزة، ولها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حيّ متميّز له ملامح وسمات خاصة به[2]، وإنّ السورة القرآنية مهما تعدّدت وتنوعت القضايا فيها تعد كلامًا واحدًا ويتعلق آخره بأوله، والعكس أيضًا، ويترامى هذا الكلام بمجموعه لغرض وحيد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى للباحث عن فهم نظم السورة من استيفاء النظر في جميعها، وتكوين نظرة كلية عنها، كما أنه لا غنى له معرفة أجزائها[3].

وإن سورة الفاتحة بالنسبة للقرآن تعتبر كالمقدمة حيث اشتملت على أغراض القرآن من التوحيد والتشريع والقصص؛ أي هي إجمال تفصيل القرآن، لأنه أيضًا يحتوي على ثلاثة موضوعات رئيسية: كليات العقيدة الإسلاميّة، وكلّيّات الشريعة الإسلاميّة أي العبادة. وكلّيّات القصص والأخبار التي فيها المشاعر والتوجّهات. وبعبارة أخرى هي سورة تجمع فيها مقاصد القرآن بأكمله، وقد فصّلت سورة البقرة ما قد تم إجماله فيها، ثم جاءت سور القرآن بعد سورة البقرة لتفصل ما في بعض آيات سورة البقرة[4].

[1] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، 47/1.

[2]) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، 1/ 27 – 28. بتصرف

[3]) ينظر: النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز، ص 196. بتصرف.

[4]) ينظر: الأساس في التفسير، لسعيد حوى، 56/1 وما بعدها.

المطلب الثامن: بيان حكم الوسائل التفسيرية التي تعارض القرآن والسنّة والإجماع

القاعدة: لتفسير القرآن وسائل كثيرة مشروعة منها الوحدة الموضوعيّة في القرآن وسوره لابد من اعتبار هذه الوسائل مالم تتعارض مع الغاية من حجيّة القرآن والسنة والإجماع فإن تعارضت تنقلب مفسدة وتحرم وذلك سدًا للذرائع، فالذين لم يرزقوا إدراك هذا طنطنوا فقالوا شططًا.

هذا وإن رجال المدرسة العقلية الاجتماعية كرشيد رضا ومحمد عبده وأمين الخولي وبنت الشاطئ ينظرون في التفاسير القرآنية فيقومون باختيار ما يرونه ملتئمًا مع السياق والوحدة الموضوعية في القرآن وسوره، ولهذا رفضوا ما استعرضوه من آراء المفسرين السابقين لمخالفتها لهذا الأساس.

فمثلًا ردوا الأقوال التفسيرية التي تخالف الوحدة الموضوعيّة في القرآن وقالوا الآية 106 من سورة البقرة: ''مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا''، وإنّ نسخ الأحكام الشرعية يُفهم من قوله تعالى: ''وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ}[النحل: 101]، ولا يفهم من قوله عز وجل: ''ما ننسخ من آية''، وقد استدلّوا على هذا بأمور: منها السياق، ومنها أيضًا بلاغة الفواصل في الآيات.

فقال رشيد رضا نقلًا عن محمد عبده: '' وإذا وازنّا بين سياق آية ''مَا نَنسَخْ'' وآية ''وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ'' نجد أنّ الأولى ختمت بقوله تعالى: ''أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ''، والثانية بقوله: ''وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ''، ونحن نعلم شدّة العناية في أسلوب القرآن بمراعاة هذه المناسبات، فذكر العلم والتنزيل ودعوى الافتراء في الآية الثانية يقتضي أن يراد بالآيات فيها آيات الأحكام''[1].

وردوا أيضًا من الأقوال التفسيرية الوحدة الموضوعيّة في السورة أو هدفها العام، حتّى أنهم قد جعلوا ذلك الهدف العامّ أساسًا في فهم آياتها، ورفضوا تفسير الرزق في قوله تعالى: ''كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا'' [آل عمران: 37] بأنّه كان يجد عندها فاكهة صيف في الشتاء وفاكهة شتاء في الصيف، فقال: ''والله لم يقل ذلك ولا قاله رسوله ﷺ ولا هو ممّا يعرف بالرأي ولم يثبته تاريخ يعتدّ به، والروايات عن مفسّري السلف متعارضة وفي أسانيدها ما فيها''[2]. ثمّ ذكر التفسير الذي يراه متّفقًا مع مقصد السورة، وهو أنّها جاءت لتقرير التوحيد وإنزال الوحي، ونفي الشبه حول بعثة النبيّ ﷺ، ثمّ عقّب هذه الأشياء التي ذكرها في أوّل السورة بذكر هذه القصّة التي تزيل شبه المشركين وأهل الكتاب في رسالته وتردّها على وجوههم. ردّ عليهم بما يعرفونه من

1) اتجاهات التفسير، لفهد الرومي، 2/720.
2) المرجع السابق، 2/726.

أنّ آدم أبو البشر ومن اصطفاء إبراهيم.. فقد كان الأمر في اصطفاء من يشاء من عباده وبذلك اصطفى هؤلاء على عالمي زمانهم فما المانع من اصطفاء محمّد ﷺ بعد ذلك على العالمين كما اصطفى أولئك"[1].

وإذا تعارضت الوسيلة مع الغاية بأن كانت الوسيلة مباحة والغاية مفسدة فحُوّلت الوسيلة من أصل وضعها تصبح الوسيلة مفسدة وتحرم وذلك كما بينته قاعدة سدّ الذرائع[2].

الخاتمة

يتبين لنا مما سبق أن هناك ضرورة كبيرة تُوجب الاهتمام بفنّ الوحدة الموضوعيّة والبحث فيها تقعيدًا وتأصيلًا وإرساءً لقواعدها، وذلك لأنّ معرفتها تساعدنا على إدراك ما في الوحدة الموضوعيّة في القرآن من الخصائص والمميزات والإعجاز، وتمنعنا من الافتتان بمزاعم أعداء القرآن والسنّة.

وإنّه قد اختلفت مفاهيم الناس حول مفهوم الوحدة الموضوعيّة في القرآن فلم نجد من أتى بقول فصل يشفي الغليل، ولكن استفدنا ممّا قالوا وكتبوا فيه، وإنّ القرآن قد أتى بالوحدة الموضوعيّة بكيفية لم يتخيلها الأدباء والبلغاء، والذين لم يدركوا هذا قالوا شططًا.

وإنني أوصي بإعداد بحوث علميّة تأصيليّة في الوحدة الموضوعيّة في القرآن وسوره، وأوصي أن يكون تفسير القرآن على أساس الوحدة الموضوعيّة في التفسير، وعلى أساس الوحدة الموضوعيّة في القرآن وسوره.

1) المرجع السابق، 2/726.

2) ينظر: التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، لعبد الغفور جعفر، ص 634 وما بعدها.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، نصر الله ضياء الدين بن محمد (ت: 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر – القاهرة، د ت.
- الأطرش، رضوان، ومسناوتي، الوحدة الموضوعية وعلاقتها بعلوم القرآن الأخرى، مجلة الرسالة – ماليزيا، المجلد 1، العدد 2، 1439هـ - 2018م.
- الألمعي، زاهر، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الطبعة الرابعة، 1428هـ - 2007م.
- بازمول، محمد، التناسق الموضوعي في السورة القرآنية، د ن، د ت.
- بازمول، محمد، تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، د ن، د ت.
- الباقلاني، أبو بكر (ت: 402هـ)، إعجاز القرآن، دار المعارف – القاهرة، د ت.
- باوزير، خلود، الوحدة الموضوعية بين المؤيدين والمعارضين [بحث لنيل درجة ماجستير]، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية: جامعة أم القرى، 1436هـ - 2015م،
- بكار، يوسف حسين، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس – بيروت، د ت.
- بلاشير (ت: 1973م)، القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، نقله إلى العربية: رضا سعادة، أشرف على الترجمة: فريد جبر، دار الكتاب اللبناني – بيروت، الطبعة الأولى، 1974م.
- جبر، غدير عدنان حسن، العلاقة بين الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والقصص الوارد فيها [رسالة ماجستير]، كلية الدراسات العليا، الأردن: الجامعة الأردنية، 2012م.
- جعفر، عبد الغفور مصطفى، التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، دار السلام – القاهرة، الطبعة الثانية، 2012م.
- حبنكة الميداني، عبد الرحمن، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ، دار القلم – دمشق، الطبعة الرابعة، 1430هـ - 2009م.
- حجازي، محمد، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة – القاهرة، 1390هـ - 1970م.
- حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام – القاهرة، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م.
- الخضيري، عبد العزيز، الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، مجلة الجامعة الإسلامية – السعودية، العدد 149.
- الخطيب، محمد بن كمال، نظرة العجلان في أغراض القرآن بمناسبات آياته ووحدة الموضوع في سوره، مجلة التمدن الإسلامي – دمشق، د ت.
- خوجة، محمد، الوحدة القرآنية: دراسة تحليلية مقارنة، دار كنوز إشبيليا – الرياض، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010م.

- دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، مكتبة الإسكندرية – مصر، الطبعة الأولى، 1435هـ - 2014م.
- رشواني، سامر، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة نقدية، دار الملتقى - حلب، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثالثة، 1997م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، 1394هـ.
- الشاطبي، إبراهيم الغرناطي (ت: 790هـ)، الموافقات، دار ابن عفان – مصر، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.
- الصاحب ابن عباد (ت: 385هـ)، المحيط في اللغة، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994م.
- صالح، يسرا، مفهوم وحدة القصيدة العربية، مجلة الدراسات العليا بجامعة النيلين – السودان، المجلد 2، العدد 8، 2015م.
- الصعيدي، عبد المتعال (ت: 1386هـ)، النظم الفني في القرآن، مكتبة الآداب – القاهرة، د ت.
- العبيدي، زهراء، بين علم المناسبة والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، المجلة العالمية لبحوث القرآن – ماليزيا، العدد 1، يونيو 2012م.
- علوان، توفيق، فيض الرحمن في التفسير الموضوعي للقرآن، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الثانية، 1427هـ - 2006م.
- العلواني، طه جابر (ت: 1346هـ)، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة، 2005م.
- الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الرابعة، 1420هـ - 2000م.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق – القاهرة، الطبعة الثانية والثلاثون، 1423هـ - 2003م.
- الكومي، أحمد السيد والقاسم، محمد أحمد يوسف، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د ن، الطبعة الأولى، 1402هـ - 1982م.
- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – القاهرة، الطبعة الخامسة، 2011م.

- محمد، رابح، تجليات الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم من خلال سورة الواقعة، 1437هـ - 2016م، (رسالة ماجستير)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجزائر: جامعة أحمد دراية أدرار.
- مطلوب، أحمد، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الأولى، 1980م.
- المطيري، عبد الرحمن ، السياق القرآني وأثره في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، 1429هـ – 2008م، (رسالة ماجستير)، كلية الدعوة وأصول الدين – قسم الكتاب والسنة، المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى.
- المنتار، محمد، من محددات نظرية الترتيل في القرآن الكريم: الوحدة الموضوعية للسور القرآنية، مجلة الترتيل - المغرب، العدد 1، رجب 1434هـ.
- المهايمي، علي بن أحمد (ت: 835هـ)، تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، مطبعة بولاق - مصر، د ت.
- النسفي، حافظ الدين عبد الله بن أحمد (ت: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب - بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
- الهاشمي، أحمد (ت: 1362هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية – بيروت، د ت.
- هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر- القاهرة، 1997م.